ونصون مرتبتك بالوضيع واني لم اعني بحقارة قدري عند الامير حقارة اخلاق ولا حقارة اعراق فاما اخلاقي فامتحانها بيد الامير واما اعراقي فاني برهمي من ولد البرهمان سيد ملوك الفرس المتوسطة بينها وبين اول الاوايل وانما اعني حقارة ديني عند الامير وكوني في عقد ذمته وصغار جزيته فقال له المامون ما بنا عنك رغبة ايها الشيخ وان انقلبت من ذمتنا الى ملتنا التحفناك شعارا فقال الشيخ ان الباعث من نفسي الى ما دعاني اليه الامير لشديد ولكني لم تفعله نفسي في مقامي هذا ولعلي افعله فيما بعد ثم قال ا ياذن لي الامير ان اتكلم فيما فاوض الان وزراه فيه فقال له المامون قل فقال الشيخ سمعت ما اشار به وزراء الامير وكل منهم مجتهد في الاصابه ولست ارضى شيا مما ذهبوا اليه فقال له المامون اطلعنا على رايك ايها الشيخ فقال اني اجد في الحكم التي ورثها اباي عن ابايهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه الامر الذي لا قبل له به ان يلزم قلبه الصبر والتسليم لحكم قاسم الحظوظ ولا يغنيه نصيبه مع ذلك من الدفاع بحسب طاقته فانه ان لم يحصل على الظفر حصل على العذر فقال له المامون ايها الشيخ انه كان يقال لا راي لكذوب وقد سمحت انفسنا لك بالثقة من غير امتحان وما ذلك لاختيارنا الا اضاعة الحزم وكلنا احببنا ان نذيقك ثمرة حبنا ايا كما شفعة الدالة على القبول وها نحن نخبرك ان هذا المتوجه الينا يعني ابن عيسى هو املك للبلد منا ثم لا يمكننا مقاومته ولو اردنا ذلك لتعذر الامر دوننا فقال الشيخ ايها الامير ينبغي ان تمحو الامر من قلبك بالجملة ولا تصغي الى من ينطق به وقد قال الحكيم ما اكثر من كثرة البغي ولا اقوى من قوة الظلم ولا املك من مالكه الغضب وها انا احدثك عن

من

54

من ان حذون مثاله نلت مناله فقال له المامون هات ايها الشيخ فقال الشيخ ان الخشنوار ملك الهياطلة لما اسر فيروز ابن يزدجرد ملك الفرس واراد اطلاقه اخذ عليه عهدا ان لا يغزوه ولا يقصده بمكروه ووضع في اقصى تخوم ارض الهياطلة صخرة واخذ عليه من العهود والمواثيق ما شدده عليه على ان لا يتجاوز تلك الصخرة ولما استوثق الخشنوار من فيروز بما اخذ عليه من العهود اطلقه فحين خرج فيروز الى بلاده وحاز ملكه وادخلته الحمية والانفه فعزم على غزو الخشنوار واطلع وزراه على ذلك فحذروه وخوفوه عاقبة البغي فما ردعه ذلك عن ما هم به فاذكروه العهود والمواثيق التي اخذها عليه الخشنوار فقال لهم اني حلفت له ان لا اتجاوز تلك الصخرة وانا امر بحملها امامي على فيل فنكون بين يدي جنودي لا يتجاوزها احد منهم فلما راوا الهوى قد وقف به على هذا الوضع بهذا القول علموا يقينا انقياد عقله لطاعته فسكتوا عنه وا عتقدوا ان لا يراجعوه في ذلك وقد قالت الحكما الهوى صدا يعلوا العقل فلا تنطبع فيه صورة الحقايق ومتى لم يبلغ الهوى حد اللجاج فهو نشاة السكر فاذا بلغ اللجاج فذلك زين المساكره وفوق سلطانه ولا يرشد تابع الهوى في حال استيلاء الشهوة او الغضب عليه فلا يزال العقل ناظرا الى الهوى قاهرا له ما لم يلقه ويحجبه غضبا او شهوة فحينئذ ينفذ سلطان الهوى ويبطل حكمه لانها حال احتجاب عقله وذلك ان الهوى ملتحم بالنفس لتقدم سلطانه عليها فاما سلطان العقل فطاري مستفاد وللعقل حجابان وهما الشهوة والغضب قال فجمع فيروز مرازبته وهم اربعة يتبع كل واحد منهم خمسون الفا من المقاتلة كل واحد منهم ضابط لربع